

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح مقدمة الباب ٢

الشيخ: خالد بن عثمان الس بت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقوله: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ نَ� يَحْسَبُ}** [الطلاق: ٣-٢]، هذه الآية تضمنت ثمرتين من ثمار التقوى، الأولى: أن الله -عز وجل- يجعل للإنسان صاحب التقوى مخرجاً، وهذا المخرج يخلص به من الحرج الذي لربما يقع فيه، فيطلب كثير من الناس المخلص منه بارتكاب الحرام.

فإذا اتقى العبد ربه -تبارك وتعالى- وتحرى العدل والصدق والصواب فيما يأتي ويدرك فإن الله -عز وجل- يخلصه من المخاوف، ومن الكروب في الدنيا والآخرة، يجعل له مخرجاً من كل أمر مخوف، يجعل له مخرجاً من كل أمر ضاق عليه فطلب المخلص والمخرج منه، فالإنسان لا بد أن يلم به بعض الشيء، ولا بد أن يلم به بعض المصائب والآلام، فالله -عز وجل- ينجيه ويخلصه من هذه الكروب التي نزلت به إذا اتقى الله -عز وجل-.

كذلك العبد لربما يبتلى، ولربما يبذل بعضهم دينه في سبيل الخلاص، فالله -عز وجل- يجعل لعبد مخرجاً ويخلصه إذا كان متقياً له؛ لأنه من عرف الله -عز وجل- في الرخاء عرفه الله -تبارك وتعالى- في الشدة، والله لا يخلي عبده، ولا يسلمه، ولا يخذله، وإنما يبتليه، ثم يرفعه بعد ذلك إذا علم منه التقوى، والصبر واليقين، لربما يظلم الإنسان، ولربما صودر حقه، ولربما قassi من أقرب الناس إليه ألوان الملمات، لربما لقيت المرأة من زوجها أشياء، لربما الولد من والده، لربما التلميذ من معلمه، أو الموظف من مديره، أو نحو ذلك، فلربما قابل الظلم بظلم أشنع منه، ولكن الإنسان إذا اتقى الله -عز وجل- في تصرفاته فلم يتكلم إلا بالعدل، وإذا دعا فإنه لا يظلم بدعائه، كما قال الشيخ تقى الدين -رحمه الله-: إن الإنسان قد يظلم بدعائه أعظم مما ظلم، فيكون الدعاء أعظم من مظلمته، يعني: الدعاء صار عظيماً في أمر لا يستحق هذا الدعاء كله على هذا الإنسان الذي ظلمه، لربما ظلمه بشيء يسير فيدعوه عليه بأن الله يشل أركانه، وأن يخسف به الأرض، وأن يتم أطفاله، ويرمل نساعه من أجل أنه سرق جواله مثلاً.

لكن يقول: اللهم جازه بما يستحق، إن كان ولا بد فاعلاً، وفي كثير من الأحيان الإنسان حينما يقايس مرارة الظلم فإنه لربما يخرج عن طوره، ولربما يتصرف تصرفات لا تتضبط بالضوابط الشرعية، فالمحض أنك إن اتق الله -عز وجل- قبل ذلك وفي أثناء ذلك وبعده فإن الله -عز وجل- يجعل له مخرجاً، وهكذا في القضايا المالية، من الناس من لربما يضيق عليه الحال، فإذا اتقى الله -عز وجل- فرج عنه ووسع له، ولهذا قال الله -عز وجل-: **{وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ نَ� يَحْسَبُ}** [الطلاق: ٣].

من الناس من يشتغل في عمل محروم، كأن يشتغل في بنك ربوبي أو نحو هذا، وإذا قيل له: اتق الله، قال: من أين قوت العيال؟ نقول: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا}** [الطلاق: ٢]، أحياناً يكون الإنسان يشتغل في محل

ذهب أو غير ذلك، وصاحب هذا المحل يلزمـه بمعاملات محرمة، فنقول له: لا يجوز لك البقاء في هذا المكان، فإن قال: أين أذهب؟ لا أحد عملاً، نقول: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ}**، من حيث لا يتوقع، فهذه من ثمرات التقوى.

ثم قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [الأفال: ٢٩]، ذكر ثلاثة أشياء، وعقبها بهذا التعقيب **{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**.

**{يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا}**، أي: تفرقون به بين الحق والباطل، وبين معدن الحق ومعدن الشبهات، وذلك أن الإنسان كلما تطـأـخ بالذنوب والمعاصي كلما تدرـت بصيرته، فلا يبصر، ولا يرى الأشياء على حقيقتها صافية ظاهرة واضحة، وكلما تتقـى العبد من الذنوب والجرائم والمعاصي كلما استارت بصيرته، فيرى ويبصر بنور الله -تبارك وتعالـيـ.

ونحن أحوج ما نكون إلى هذا المعنى في مثل هذه الأيام التي تكثر فيها الشبهات، وتكثر فيها أيضاً الشهوات، وتكثر فيها الفتن التي لربما التبس بعضها على كثير من الناس، فإذا انتـقـى العبد ربه فإن الله -عز وجلـ يجعل له هذا الفرقان الذي يفرق به بين الحق والباطل.

**{وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** وـهـذه ثمرة أخرى لـكـفـيرـ الذـنـوبـ بتـقوـيـ اللهـ -ـعـزـ وـجـلــ، كما قال الله -ـتـبارـكـ وـتعـالـيــ: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَ النَّهَارِ وَرُنْقًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ}** [هـود: ١٤]، فـتـقوـيـ اللهـ -ـعـزـ وـجـلــ سـبـبـ لكلـ خـيـرـ، وـمـنـ ذـكـرـ تـكـفـيرـ الذـنـوبـ وـرـفـعـ الـدـرـجـاتـ، وـلـهـذاـ قـالـ: **{وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**، فـعـطاـءـهـ لـاـ يـحدـ وـلـاـ يـحصرـ، فـلـاـ يـقتـصـرـ أـثـرـ التـقـوىـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـمـرـ المـذـكـورـةـ، بلـ يـرـفـعـ اللهـ -ـعـزـ وـجـلــ درـجـاتـ هـؤـلـاءـ الـمـتـقـينـ فـيـ الجـنـةـ، وـيـفـتـحـ لـهـمـ مـنـ أـبـوابـ الـفـضـلـ وـالـخـيـرـ، وـيـوـفـقـهـمـ الـوـانـ التـوـفـيقـ بـسـبـبـ تـقـواـهمـ، **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهُدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}** [يونس: ٩]، إنـماـ كانـ ذـكـرـ بـسـبـبـ التـقـوىـ بـعـدـ فـضـلـ اللهـ -ـعـزـ وـجـلــ وـرـحـمـتـهـ.

يـقـولـ: وـالـآـيـاتـ فـيـ الـبـابـ كـثـيرـةـ مـعـلـومـةـ، ثـمـ بـعـدـ ذـكـرـ ذـكـرـ خـمـسـةـ أحـادـيـثـ.

أسـأـلـ اللهـ أـنـ يـنـفـعـنـاـ وـإـيـاـكـمـ بـمـاـ سـمـعـنـاـ، وـأـنـ يـجـعـلـنـاـ وـإـيـاـكـمـ هـدـاـةـ مـهـتـدـيـنـ، وـصـلـىـ اللهـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ، وـعـلـىـ آلـهـ وـصـحـبـهـ.